ابن حزم وتأسيس المنهج النقدي "بحوث الأديان انموذجا"

د/ محمـــود عبـــد الله الشـــــال (*)

الملخص

يعتبر ابن حزم من علماء الإسلام الذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي والنهوض بهما، خاصة في مجال دراسة الأديان ونقدها نقدا ممنهجا صحيحا، ومن الذين اهتموا بدراسات الأديان الأخرى غير الإسلام، ومن السباقين إلى نقد النصوص الدينية، على نفس طريقة نقد المسلمين لنصوصهم الدينية، غير أن ابن حزم كان له الفضل في تمحيص وفحص ودراسة ومقارنة النصوص المقدسة اليهودية والمسيحية، تمحيصا دقيقا وفق منهج علمي رصين، لإثبات مدى صحتها من عدمها، وإثبات التحريفات والدسائس الواردة فيها، حيث اعتمد على منهج النقد الداخلي والخارجي للنص، وقد قرّر ابن حزم قاعدة مهمة إذ يقول: "وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها وكانا محظورين على من سواهما، فالتبديل والتحريف مضمون فيهما".

كما تميز منهج ابن حزم بالوضوح والبساطة، والرجوع إلى البرهان القائم على المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس، وأوليات العقل وبديهياته، وهي التي أطلق عليها اسم" البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق". من حيث كون هل للنص المنتقد من وثيقة أصلية يعتمد عليها؟ وما تاريخ كتابتها؟ ومن كتبها؟ وفي أي زمن تمت كتابتها؟ ويمكن القول بأن ابن حزم هو المؤسس الحقيقي لعلم نقد الكتاب المقدس. كما كان صاحب جهد عظيم في بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس، يجعله الدارس الأكبر في هذا الحقل العلمي .حتى ذاع صيته في الأفق مما خوّل له حظوة اهتمام الباحثين شرقا وغربا بكتاباته، إذ تعد دراساته النقدية لأسفار العهدين القديم والجديد، على رأسها، فهو قد كان رائد هذا النوع من البحوث في الفكر الإنساني كله. وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الجوانب النقدية في شخصية ابن حزم الأندلسي والتعرف عليه وعلى أهم الآليات المنهجية التي استخدمها ابن حزم إزاء نقده للكتاب المقدس.

الكلمات المفتاحية: المنهج، النقد، ابن حزم، الأديان.

(*) دكتوراه في الآداب والفلسفة – جامعة عين شمس.

Abstract

Ibn Hazem is considered to be one of the prominent scholars in Islamic civilization who pioneered the standardization of comparative religion and the foundation of its rules. Many Western scholars acknowledge that they have benefitted greatly from the approach he adopted in his study. Ibn Hazem is also considered to be among the first scholars to apply textual criticism to Jewish and Christian sacred texts by studying them thoroughly and authentically, and by comparing them to one another. His purpose was, after comparing and contrasting the texts, to identify the contradictions and explicit distortions infiltrated in these texts, and to make them known to the public. It should be noted that Ibn Hazem followed the same approach used by Muslim scholars in applying textual criticism to historical texts, particularly to religious ones. He used internal criticism, addressing the text's content, and the extent to which it correlated with both accurate transmission and pure intellect. He also showed how contradictory these texts are with logical reasoning. This scholar used external textual criticism as well, following the chain of narrators and transmitters and this is what Muslim scholars call Sanad (Arabic for chain of narrators) which is a unique feature of the religion of Islam, and an essential one in the transmission narratives. What Ibn Hazem did is similar to the criticism applied to the narrated prophetic sayings and actions; a criticism based on a knowledge of the narrators' status, their uprightness, and their honesty in taking on reports from the prophet (PBUH) and transmitting them. The verification of reports and their narrators has yielded what is now known as the study of Hadith Terminology and the Invalidation and Validation of Narrators. This tradition eventually resulted in a classification of prophetic sayings into sound or authentic hadiths, good hadiths, weak hadiths, and fabricated hadiths which are rejected. Muslims are in fact right to be proud of this efficient approach; it requires much precision and scrutiny in verifying, accepting ,and transmitting reports, and has allowed us, Muslims, to preserve our Islamic heritage from loss, distortion, and infiltration . This study seeks to reveal the critical aspects of the personality of Ibn Hazm Al-Andalusi and to identify him and the most important methodological mechanisms that Ibn Hazm used in his criticism of the Bible

Keywords: critical, method, Ibn Hazm , religions.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،

فإن من أبرز علماء الإسلام الباحثين في الأديان والملل ابن حزم الأندلسي الذي ترعرع في جو العلم والعلماء في قصور الأندلس. وهو صاحب الخطوة المهمة في تاريخ الجهود الإسلامية نحو تطوير نقد الكتاب المقدس في كتابه المشهور "الفِصل في الملل والأهواء والنّحل"، ولأجل ذلك عُدّ مؤسس "علم نقد الكتاب المقدس" عن جدارة علمية أثبتها من خلال إسهاماته الكبيرة في علم الأديان عند المسلمين وعند الغربيين أيضا؛ لأنهم استفادوا من بحوثه بشكل كبير جدا وظهر من علماء الغرب من تأثروا به في كتبهم ورجعوا إلى تحليلاته ومنهجه في النقد. لذا تأتي أهمية دراسته من خلال هذا البحث المسمى: ابن حزم وتأسيس المنهج النقدي "بحوث الأديان انموذجا".

أهمية الدراسة:

تقدر أهمية اي موضوع يقبل عليه الباحث بالدراسة في مدي مساهمته العلمية في مضمار البحث والاستقصاء المعرفي.

التعرف على أحد أعمدة علم العقائد والملل في الحضارة الإسلامية ومدى إسهاماته في إثراء ميدان الدراسات العقدية واللاهوتية حتى وقتنا الحاضر.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الجوانب النقدية في شخصية ابن حزم الأندلسي، والتعرف على أهم الآليات المنهجية التي استخدمها ابن حزم إزاء نقده للكتاب المقدس، إذ نوع في أساليب الدراسة واستعان بمنهج النقد النصي والمقارن في كتاباته.

أهداف الدراسة:

١- إظهار جهود ابن حزم في نقد الأديان والعقائد.
٢- التعرف على الشخصية العلمية لابن حزم وأهم مؤلفاته.
٣- بيان المنهج النقدي الذي يعد أحد أهم مناهج البحث في الأديان .
٤- حاجة المكتبة العربية والإسلامية لمزيد من هذه الدراسات.

منهج الدارسة:

لقد تطلبت الدراسة في هذا البحث عدم الاكتفاء بمنهج واحد من مناهج البحث العلمي، بل اقتضى الأمر استخدام بعض مناهج البحث العلمي؛ حتى يمكن الباحث من الوصول إلى النتائج الصحيحة، ومنها:

١-المنهج المقارن :

وهو المنهج المتوافق تماما مع علم مقارنة الأديان، وهو أيضا منهج التحاور والتناظر ومقارعة الحجة بالحجة دون الخضوع لأية تأثيرات عقائدية أو شخصية حتى يمكن التوصل إلى الحقائق المجردة بعيدا عن الهوى والشطط.

٢- المنهج الاستقرائي:

تم الاعتماد عليه في جمع المعلومات التي تخص موضوع دراستنا من مختلف المصادر والمراجع.

٣- المنهج التحليلي:

اعتمدنا عليه في عرض المعلومات التي لابدّ للتعرض إلى تحليلها من مختلف المصادر والمراجع حتي يتبنّ القصد الحقيقي منها.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

في المقدمة أتناول أهمية الدارسة وإشكاليتها، وأهداف البحث، والمنهج المستخدم، وخطة الدراسة.

المبحث الأول بعنوان : مدخل مفاهيمي دلالي.

والمبحث الثاني بعنوان : تطبيقات المنهج النقدي عند ابن حزم في دراسة الكتاب المقدس.

وخاتمة البحث وأهم النتائج، ومراجع البحث.

المبحث الاول: مدخل مفاهيمي دلالي

يعتبر المبحث الأول بمثابة افتتاح للبحث لأنه يهتم بضبط مفهوم ومدلول لأهم المصطلحات في البحث والتعريف بالشخصية المحورية التيٍ يدور حولها الدراسة.

المطلب الاول: تعريف بعض المصطلحات:

المنهج لغة:

مَفْعَل من مادة نَهَج ينهَجُ نَهْجًا، وهو الطريق المستقيم البين. قال الجوهري: " نَهَج الطريق: أبانه، وأوضحه، ونَهَجه: سَلَكَه، والمِنهَاج: الطريق الواضح"[١].

والمنهج مصدر مشتق من الفعل (نَهَجَ) بمعنى: طرق أو سلك أو اتبع، والنهج والمنهج، والمنهاج تعني: الطريق الواضح[٢]، فالمنهج من الناحية اللغوية يعني الطريق الواضحة المعالم التي يسلكها الإنسان كي لا يضل كما جاء في الوسيط: " نهج الطريق- نهجا، ونهوجا: وضح واستبان... ويقال: نهَج أمرَه المنهاج الطريق الواضح والخطة المرسومة (محدثة)، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم، و نحوهما،... المنهج: المنهاج جمع مناهج" [٣]. يتبين لنا مما سبق أن المنهج في اللغة يأتي ويراد به الطريق البين الواضح.

وقد قدمت المعاجم الأجنبية من مثل "معاجم أكسفورد ووبستر" تعريفات لغوية ومعجمية لمصطلح "منهج" ففي الإنجليزيةMethod وفي الفرنسية Methode وفي اللاتينية Methodus وفي اليونانية Methedos يعني بشكل عام الطريقة أو السبيل أو التقنية المستخدمة لعمل شيئ محدد، أو هو العملية الاجرائية المتبعة للحصول على شيء ما أو موضوع ما[٤].

المنهج اصطلاحا:

هو طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة برهانية أو معرفة علمية[٥]. أما علم المنهج أو (المنهجية) العلم الذي ينتمي في جذره نظرية المعرفة[٦]. وقيل: هو التنظيم الصحيح لسلسة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين[٧]. وقيل: هو علم يعتني بالبحث في أيسر الطرق؛ للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت، وتفيد كذلك معنى ترتيب المادة المعرفية وتبويبها وفق أحكام مضبوطة[٨]. ويعرف على أنه: " الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها"[٩].

وعُرّف أيضا بتعريفات كثيرة منها:

١- ابو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري (٣٩٣هـ)، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم: عبد الله العلايلي، تحقيق: نديم مرعشلي ، اسامة مرعشلي ، دار: الحضارة العربية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٤م، م ١، صـ٣٤٦.

٢- ابن منظور، لسان العرب، دار: الجيل، بيروت، لبنان، د. ط ،١٩٨٨م، م٦، مادة "نهج" ، صـ ٧٢٧.

٣- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار: العودة، تركية، مصر، ط٢، ١٩٧٢، صـ٩٥٧.

٤- ثامر فاضل، اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط١، ١٩٩٤، صـ ٢١٨.

٥- د. علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، مكتبة اللغة العربية، بغداد، ط٣، ١٧٧٤م، صـ ١٩.

٦- د. عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣،٢٠٠٠م، صـ ١٧.

٧- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣،١٩٧٧م، صـ ٤.

٨- محمد البدوي، المنهجية في البحوث والدراسات الأدبية، دار: المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ١٩٧١م، صـ ٧.

٩- د. محمد محمد قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٩، صـ٥٢.

١- هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة.
٢- هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية وفي أي مجال.
٣- القواعد العلمية التي يسلكها العقل في حركته للبحث عن الحقيقة في أي مجال من مجالات المعرفة.

وهذه التعريفات واحدة في المعنى وإن اختلف التعبير عنها باللفظ، لأن مدارها على القواعد التي يسير عليها الباحث أو تسيير الباحث عند إرادته في بحث أي مسألة علمية.

"وكان العلماء المسلمون يعبرون عن المنهج بالأصول والقواعد"[١٠].

والمنهج في الاصطلاح العام : هو النظام والخطة العلمية السليمة المرسومة للشيء[١١].

ومن خلال هذه التعريفات للمنهج نجد أنها تتفق على:

أن البحث العلمي له صلة متينة بالمنهج فلا يمكن أن نأخذ في عمل بحثي دون اختيار منهج نسلكه في طريقنا. أن البحث العلمي دون اتباع منهج معين يؤدي إلى الفوضى.

تعريف النقد:

النقد لغة : النقد والتنقاد. جاء في لسان العرب أن النقد هو:" تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها؛... والنقد: تمييز الدراهم وإعطاؤها انسانا؛... ونقدته الدراهم، ونقدت له الدراهم أي أعطيته، فانتقدها أي قبضها"، فهو بهذا التعريف يمدنا بثلاث محددات أساسية لعملية النقد، وهي: التمييز، الإعطاء والقبض[١٢]. وبتصفّحنا لمعجم أساس البلاغة للزمخشري نجد فيه أيضا: "نقده الثمن، ونقده له فانتقده، ونقد النقاد الدراهم: ميّز جيّدها من رديئها..." ، إضافة إلى التمييز نستنبط من النص كذلك معنى عطاء الثمن، فقبضه[١٣]. والشيء ذاته نجده في الصحاح؛ حيث يقول الجوهري: "نقدته الدراهم، ونقدت له الدراهم، أي أعطيته فانتقدها، أي قبضها. ونقدت الدراهم وانتقدتها، إذا أخرجت منها الزيف..." [١٤].

ويضيف إلى ذلك: "وناقدت فلانا، إذا ناقشته في الأمر" مما يضفي على اللفظة صبغة حوارية، أطرافها: المنَاقِشُ والمنَاقَشُ والأمر المنَاقَشُ فيه"[١٥].

وإذا أمعنّا النّظر في المحددات الثلاثة الآنفة الذكر، أي: التمييز، الإعطاء، القبض، والتي وقع التطابق فيها في المعاجم العربية الثلاثة، نجدها لا تبتعد كثيرا عن معنى الحوارية الذي أضافه الجوهري؛ فالثلاثية : تمييز، إعطاء، قبض، تستدعي ثلاثية أخرى هي: طرفي المناقشة والأمر المتَنَاقَشُ فيه، ومن ثمة أمكننا تسجيل هذا المعطَى كوجه أول للاتفاق والتطابق بين المعاجم العربية من هذه الزاوية.

١٠- د. محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، صـ ٨٩.
١١- د. عبد المجيد سرحان الدمرداش، المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ٥، ١٤٠٥ هـ، صـ ١٥.
١٢- ابن منظور، لسان العرب، دار: صادر، بيروت، د. ط، د.ت، م١، مادة "نقد"، صـ٤٢٥.
١٣- أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار: الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، جـ ٢، صـ ٢٩٧.
١٤- الصحاح في اللغة والعلوم، مرجع سابق، م٢، صـ٥٩٩.
١٥- المرجع السابق، م٢، صـ٥٩٩.

أما الوجه الثاني للاتفاق والتطابق، فهو التقاؤها (المعاجم العربية) في ربطها دلالة لفظة "نقد" بتمييز الدراهم، وبذلك فهي تقرن بين وظيفة النقد بوظيفة الصيرفي.

ومما سبق نستطيع القول إن معنى النقد يدور حول التمييز والكشف والظهور والمناقشة والاختيار ومداومة النظر والعيب والحسن والقبح، فالكشف عن الشيء وإظهار ما فيه من حسن أو عيب، يحتاج إلى فحصه واختباره، وتدقيق النظر، من أجل الوصول إلى الحكم عليه، وتمييز جيده من رديئه، فهذه هي معاني النقد في اللغة.

النقد في الاصطلاح العام:

ارتبط النقد بوجود الإنسان في هذه الحياة، فقد آتاه الله (سبحانه وتعالى) من المهارات الذهنية والنفسية التي تجعله يتفاعل مع حركته في هذه الحياة فكرا وأثرا، ومن البديهي أن تطور حياة الإنسان إنما هو نتاج إعمال تفكيره ونقده فيما حوله، فينفر مما يؤذيه أو يخيفه، ويسعى لما يحسنه ويريحه، وهذا هو النقد بذاته، فالإنسان ناقد بطبعه، متذوق بفطرته، يطالبها دائما بالأحسن والأجمل والأجود والأمثل في شؤون حياته كلها[١٦].

والنقد ضرورة من ضروريات الحياة، فلا يمكن للحياة أن تستمر إن تخلف النقد عن ميادينها الثقافية والعلمية والسياسية والاقتصادية والعملية، إذ بدونه يظل الإنسان منغلق الذهن ضيق الأفق، عقيم الفكر، ضعيف التفكير، لأنه ركيزة لرقي الفكر الإنساني وتطوره، فهو يعمل على تنقيح الأفكار وتحرير الأقوال[١٧].

إن النقد عملية ذهنية عقلية، وله في كل علم مدلوله الذي اصطلح عليه، إلا أنه في مجمله يهدف لمعنى مقارب للمعاني اللغوية، وهو المعنى المشترك لمفهوم النقد المستعمل في كثير من العلوم وإن اختلفت معاييره وأحكامه باختلاف الفن الذي يمارس فيه، فالنقد الذي يوجه للأدباء، يختلف عن النقد عند المحدثين، أو الأصوليين، أو المتكلمين، أو الفلاسفة، أو عند علماء الاديان، أو عند التربويين، فلكل منهم أسلوبه وأحكامه، إلا أن المشترك بينهم هو النظر في الأثر، والتحليل في المضمون والشكل، ومن ثم الحكم والتقييم[١٨].

وبهذا يعرف النقد بأنه: "عبارة عن دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها مما يشابهها أو يقابلها، ثم إصدار الحكم عليها بتحديد مقدار قيمتها وبيان واقع درجتها، وهذا يجري في الحسيات والمعنويات، وفي العلوم والفنون، وفي كل شيء متصل بالحياة"[١٩].

١٦- الصناعة النقدية في تفسير ابن عطية، محمد صالح سليمان، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط١ ،١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، صـ٣٥.

١٧- منهج النقد في التفسير، إحسان الأمين، دار: الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط١ ،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.، صـ٥.

١٨- مقال بعنوان (تعريف النقد الأدبي الحديث)، موقع على الشبكة العنكبوتية "سطور" ، بتصرف بعض الشئ علي هذا الموقع:

https://sotor.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB

١٩- د.هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار: الرشيد للنشر ، العراق، ١٩٨١، صـ٢٠.

وهو في حقيقته مجموعة من العمليات الذهنية التي تستهدف تقييم الحقائق والأفكار والظواهر، وتمييز ما فيها من خير وصواب وجمال عما فيها من باطل وخطأ وقبح[٢٠].

ومصطلح النقد له معانٍ عديدة منها:

١- يُعتبر النقد قسم من أقسام المنطق الذي يتناول الحكم إذا ارتبط بعقيدة ترى أنّ العقل يُشكّل المعرفة.

٢- أخذ مصطلح النقد منحى آخر مع الفيلسوف ايمانويل كانط [٢١] حيث أصبح نزعة فلسفية نقدية تقوم على جعل نظرية المعرفة [٢٢] الأساس لكل مذهب فلسفي.

٣- يطلق النقد على استعداد العقل منهجيا [٢٣].

٤- النقد بمعنى "الفحص" ويطبّق على فحص ظاهرة للحكم عليها.

٥- مصطلح العقل النقدي الذي يطلق على كل عقل لا يقبل أي ظاهرة دون التساؤل عن قيمتها سواء من حيث مضمونها وهذا ما يعرف بالنقد الداخلي، أو من حيث صدرها، أو ما يعرف بالنقد الخارجي ومنه خرجت المركبات الاصطلاحية. نقد تاريخي ونقد لفظي وغيرهما[٢٤].

٦- جاء في الموسوعة البريطانية تعريف النقد أنه النقاش المنطقي لأي ظاهرة فنية (علمية) ينقسم إلى مرحلتين:

الأولي: مرحلة الوصف لظاهرة ما، ثم يأتي التحليل.

الثانية: مرحلة التقييم، أي إعطاء حكم على هذه الظاهرة[٢٥].

فالنقد بالمفهوم العام لجميع العلوم يراد به مناقشة ما يرد عليه مناقشة من الكلام وتبيين الحق بالحجة الظاهرة.

ويعرف المنهج النقدي بأنهُ:" عرض عناصر موضوع معين على الموازين الدقيقة لمعرفة صحتها من فسادها "[٢٦].

تعريف البحث لغة واصطلاحا:

لغة: البحث مصدر مشتق من الفعل الماضي بحث، بمعنى : طلب وفتّش وتقصَّى، وتتبَّع وتحَّرى، وسأل، وحاول، واكتشف[٢٧] .

٢٠- د.عبد الكريم بكار، تكوين المفكر، دار: وجود للنشر والتوزيع ،الرياض، ط٣ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، صـ٩٢.

٢١- ايمانويل كانط : فيلسوف ألماني ولد ومات في كونيغسبَغ بروسيا .تنبى المذهب العقلاني في الفلسفة النظرية والمذهب التجريبي في الفلسفة العلمية، جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ببروت، ط٣، ٢٠٠٦ م ، صـ٥١.

٢٢- نظرية المعرفة : هي البحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها .وهي غير السيكولوجيا التي تقتصر على وصف العمليات العقلية وتمييز بعضها عن بعض دون الفحص عن صحتها أو فسادها، صليبا جميل، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٧٣ م، جـ ٢، صـ ٣٧٨.

٢٣- أندريو لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليلي أحمد خليل، ، منشورات عويدات، بيروت، باريس ، ط٢ ، ٢٠٠١م، م١، صـ ٢٣٧.

٢٤- أندريو لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، صـ ٢٣٨.

25 -ENCYCLOPEDIA BRITANNICA ; William Benton ; A cociety of Gentlemen in Scotland; 1768; CHICAGO; LONDON;TORONTO; GENEVA; SYDNEY; TOKYO; MANILA; ; volume 6; P087

٢٦ - يوسف السعيد، مناهج البحث في العقيدة، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، ، القاهرة، العدد ٧ ،م١، ٢٠٠٢م ، صـ ٢٩٥.

٢٧ - المعجم الوسيط، تأليف إبراهيم أنيس وآخرون، الناشر: مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، مادة (بحث).

أما اصطلاحا: فهو عبارة عن إضافة جديدة للعلوم تقوم على الدليل والبرهان . إذن فمنهج البحث هو القانون الذي يحكم أية محاولة للدراسة أو التقييم على أسس سليمة.

المطلب الثاني: ترجمة ابن حزم وحياته العلمية.

نال اهتمام علماء الدين ورجال الأدب والفلاسفة والعقلانيين بابن حزم الأندلسي وتراثه الديني والأدبي والعلمي؛ لكونه ظاهرة عصره وفريد دهره ومؤسِّسًا لأنماط عديدة من العلوم ما تزال محتفظة بقيمتها المعرفية، مما جعل الدارسين والباحثين يتناولونها بالعناية والبحث خلال العصر الحديث والمعاصر، ونالت كتبه إعجاب الباحثين خصوصا كتابه" الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ الذي يعد أحسن ما وصل إلينا في مجال مقارنة الأديان؛ لأنه "أول من طرق ميدان النحل والملل في الأندلس "[٢٨]، حيث اعتبره المستشرقون أول موسوعة في علم مقارنة الأديان وقد سبق الغرب بقرون عديده[٢٩].

اولاً: ابن حزم وحياته ووفاته ونشأته العلمية:

ابن حزم: هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم القرطبي، الفارسي الأصل. ولد بقرطبة من بلاد الأندلس، في شهر رمضان، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة من الهجرة (٣٨٤هـ) [٣٠].

نشأ ابن حزم في أسرة غنية عريقة النسب، ذات مجد وحسب، وعلم وأدب، إذ كان أبوه أحمد بن سعيد بن حزم من كبار الوزراء، وقد اعتنى بتربيته منذ صغره، واهتم بتعليمه وتوجيهه، وأحضر له من يعلِّمه العلم والأدب في قصره وهو حدث، ثم أجلَسه مجالس العلماء والمشايخ بقرطبة، حفظ وتعلَّم أنواع العلوم على اختلافها، فلم يبقَ علم إلا وقد حصله، إلا علم العدد والهندسة فإنه لم يكن له منه نصيب[٣١]. وكان في بداية أمره يسير في ركاب المذهب المالكي السائد في بلاد الأندلس، حيث درس الموطأ على ابن دحون شيخ المالكية[٣٢]، كما سمع الموطأ ومدونة سحنون على شيخه وأستاذه ابن الجسور[٣٣] وألَّف في سن مبكرة كتاباً في شرح أحاديث الموطأ سماه (الإملاء في شرح أحاديث الموطأ) [٣٤]. لكن مرحلة تحصيل الفقه المالكي لم تدم طويلا، ولم تتوافق مع روح ابن حزم النزاعة إلى الاجتهاد والتحرر الفكري، لا سيما وأن التقليد كان قد طغى

---

٢٨ - د. محمود إسماعيل ، الفكر التاريخي في المغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ٢٠٠٩م، صـ ٩١.

٢٩ - أنخل جنثالث تبالثيا تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د.حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦، صـ ٢٥٥.

٣٠ - ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار: الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت ،جـ ٣، صـ٣٢٥؛ شمس الدين محمد بن الذهبي، أحمد تذكرة الحفاظ، دار: الفكر العربي، بيروت، مصورة عن طبعة المعلمي اليماني بالهند، د.ت، جـ٣، صـ ١١٤٦ ؛ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، صـ ٣٠٨؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧٥هـ، جـ٢، صـ٧٠٠.

٣١ - أحمد بن محمد التلمساني المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار: صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ، جـ٢، صـ١٣٤.

٣٢ - عبد الله بن يحيى بن أحمد الأموي القرطبي أبو محمد المعروف بابن دحون، المتوفى سنة (٤٣١هـ)، لمزيد انظر أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م، جـ ١، صـ ٢٦٠ .

٣٣ - أبو عمر، أحمد بن محمد بن الجسور القرطبي، المتوفى سنة (٤٠١هـ). وهو من أوائل شيوخه الذين تتلمذ عليهم، لمزيد انظر: أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مطبعة روخس، مدريد، إسبانيا، ١٨٨٤م ، صـ ١٤٣؛ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، جـ ١، صـ ٢٤ .

٣٤ - ينظر: ابن حزم خلال ألف عام، جمع وتحقيق : أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ، دار: الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، جـ١، صـ ٩٦.

على متأخري فقهاء المالكية بالأندلس، فانتقل إلى المذهب الشافعي، ولعل الذي حمله على ذلك الانتقال هو ما رآه من شدة تمسك الشافعي بالنصوص، ونقْدِه لمالك الذي كان يفتي بالاستحسان والمصالح المرسلة. ولم يلبث إلا قليلا حتى انتقل إلى المذهب الظاهري، مذهب داود بن علي[٣٥]، ولعل ذلك كان نتيجة تأثره بشيخه ابن مفلت[٣٦] لذي كان يميل إلى القول بالظاهر، فوجد في هذا الفقه الجديد، فقهِ أهل الظاهر، تحررا فكريا وعدم تقيد بالمذاهب الفقهية المشهورة، بل التقيد فقط بالنصوص والآثار، فصار بعد ذلك يقول بنفي القياس والرأي، ويأخذ بظواهر النصوص، جريا على مذهب داود . غير أن ابن حزم لم يتقيد بمذهب داود، بل خالفه في بعض الأصول، وكثير من الفروع، ما جعل البعض يسمون مسلكه الفقهي بالمذهب الحزمي، أو المدرسة الحزمية[٣٧]. وابن حزم هو أحد أعلام الحضارة الإسلامية وأبرز علماء الأندلس . كتب في الفقه، وأصول الفقه، والأنساب والتاريخ، والمنطق، ومقارنة الأديان وأيضا في الأخلاق والحب والأدب العربي. وكان على درجة عالية من الحس المرهف فكان شاعرا وأديبا إضافة إلى تمكنه في الجانب العلمي. كما أنه اشتغل بالسياسة والحكم، وعُيّن وزيرا أكثر من مرة، إلاّ أن ترك هذا المنصب بسب الظروف المضطربة في الدولة الأموية آنذاك وهذا جعله يهجر السياسة تداما ويتفرغ للبحث العلمي فقط. ابن حزم من العلماء الذين تميزوا بغزارة الانتاج والتأليف ومع ذلك لم تصلنا مؤلفات ابن حزم جميعها وقد عرفناها من خلال إشارات إليها في هوامش كتبه التي وصلتنا، ومن خلال إشارات العلماء الآخرين إليها في كتبهم[٣٨]. توفي ابن حزم سنة ست وخمسين وأربعمائة (٤٥٦ه)، لليلتين بقيتا من شهر شعبان، وكان عمره إحدى وسبعين عاما[٣٩].

ثانياً: آثاره العلمية:

كان ابن حزم رحمه الله من أكثر علماء أهل الإسلام تأليفا، فقد ألّف كتبا كثيرة في شتى العلوم والفنون . وها هو يخبر بذلك عن نفسه ويقول : (ولنا فيما تحققنا به تأليفا جمة، منها ما قد تم، ومنها ما شارف التمام، ومنها ما قد مضى منه صدر، ويعين الله على باقيه) [٤٠].

ويقول تلميذه الحميدي : (كان متفننا في علوم جمة، وله تواليف كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم) [٤١] . وقد أحصى بعض المعاصرين مؤلفات ابن حزم، فبلغت أزيد من مائة وأربعين مؤلفا، منها المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها ما هو مفقود[٤٢]. والمقام هنا لا يسع لذكر جميع تلك المؤلفات، وسأقتصر على ذكر بعضها. فمن تلك المؤلفات:

---

٣٥ - هو الحافظ المجتهد أبو سليمان، داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري . مؤسس المذهب الظاهري، وإليه ينسب، توفي سنة (٢٧٠هـ)، ينظر: أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت ، جـ٢، صـ ١٥٨.

٣٦ - أبو الخيار، مسعود بن سليمان، المعروف بابن مفلت، المتوفى سنة (٤٢٦هـ). كان ظاهريا منكرا للتقليد. ينظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، صـ ٣٥٠.

٣٧ - د. توفيق بن أحمد الغليزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس(نشأتها، أعلامها، أصولها)، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض . ط١، ١٤٢٧هـ ، صـ ٤٩٦.

٣٨ - د. حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم نموذج من نقد توراة اليهود، حولية كلية الشريعة والدارسات الاسلامية، جامعة قطر، العدد: ٦، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، صـ ٦٠٥ .

٣٩ - ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، جـ٢، صـ٣٩٦ ؛ جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، صـ ٣٠٩ .

٤٠ - ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، جـ ٢، صـ١٨٦. .

٤١ - جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، صـ ٣٠٨ .

٤٢ - ينظر: د. عبدالحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.، صـ ١١٠ .

١. المحلى بالآثار في شرح المجلى بالاختصار.
٢. الإحكام في أصول الأحكام.
٣. النبذ في أصول الفقه الظاهري.
٤. مراتب الإجماع.
٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل.
٦. طوق الحمامة في الألفة والإلاف.
٧. رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل.

المبحث الثاني : تطبيقات المنهج النقدي عند ابن حزم في دراسة الكتاب المقدس:

يعد المنهج النقدي واسع ومتشعب الجوانب، ويشغل قسما كبيرا من خلال كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، ولذلك اقتصر على نماذج من الكتاب المقدس (التوراة والانجيل)، ولمن يود الاطلاع على التفاصيل أن يراجع الكتاب مباشرة، لكن ما يلي يعطي فكرة كافية عن طبيعة نقد ابن حزم للكتاب المقدس.

ولعل من أهم ما يتميز به ابن حزم في منهجه النقدي هو نقد النص الديني، سواء أكان هذا النقد من خارج النص أم نقدا من داخل النص . وقد ذكر د. محمد الشرقاوي في دراسته لابن حزم قوله: "يعد ابن حزم الأندلسي أول باحث فيما نعلم يدرس العهد القديم عموماً والأسفار الخمسة خصوصا دراسة تحليلية نقدية، يوظف فيها هذا الأسلوب المنهجي الرصين، لذا فلا غرابة أن يطلق عليه مؤرخ الأديان الفرنسي المعاصر لابوليه لقب رائد هذه الدراسات في الفكر الإنساني كله"[٤٣].

وشغل ابن حزم العلماء بتفرداته الفقهية ومخالفاته الكلامية ونقده الشديد لمعاصريه من الفقهاء والمتكلمين، وهو جانب ألقى الستار على كثير من دراساته واجتهاداته، والجانب الأهم الذي يستحق الدراسة هو جانب النقد لغير المسلمين، ومن ذلك نقده لكتاب اليهود " التوراة" ، ومن تميزه في هذا الجانب أنه كان صاحب جهد خاص فكان يجلس إليهم ويجادلهم ثم يرجع إلى كتبهم ويكشف ما فيها من تحريف ويظهر ما فيها من تبديل، وكان ابن حزم في أكثر من موضع من كتابه يشير إلى أنه كان يتناقش مع اليهود مما يدل على أن أبحاثه وكتاباته ترجع في الأغلب إلى جهوده الشخصية [٤٤]. كما كان صاحب جهد عظيم في بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس يجعله الدارسَ الأكبرَ في هذا الحقل العلمي [٤٥].

حيث درس التوراة دراسة نقدية على المستوى النصي والمصدري والديني والتاريخي والجغرافي والأخلاقي واللغوي والأدبي، واعتمد عليه المستشرقون وعلماء العهد القديم في الغرب في نشأة علم نقد الكتاب المقدس وتطوره.

٤٣ - د. محمد عبد الله الشرقاوي، منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١،د .ت، صـ ١٩.

٤٤ - عبد العزيز عبد الحق حلمي، مقدمة الرد الجميل للإمام الغزالي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، صـ ٨٠.

٤٥ - د. محمد عبد الله الشرقاوي، مقارنة الأديان، مكتبة الزهراء، مصر، ط٢، ١٩٩٠م، صـ ٩٣.

ويأتي ابن حزم على قمة العلماء المسلمين المؤسسين لنقد العهد القديم، ويعد كتابه " الفِصل في الملل والأهواء والنحل " من أبرز الأعمال الإسلامية في تاريخ الأديان، ويعتبر الأساس المنهجي لعلم نقد العهد القديم [٤٦].

ويتصف بالشمولية في الموضوع والمنهج ، فقد غطت العملية النقدية كل اتجاهات النقد الرئيسة وأهمها النقد النصي والمصدري والأدبي واللغوي والتاريخي والديني والأخلاقي وهي نفس الاتجاهات التي قامت عليها حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب التي أسسها المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن [٤٧] ولا تختلف هنا سوى في التفاصيل التي حصل عليها النقاد في العصر الحديث من خلال التقدم في علمي التاريخ والآثار وفي منهج النقد التاريخي والأدبي، وكذلك التقدم في الدراسات اللاهوتية والدينية والفلسفية، ويؤكد مؤلف كتاب اتجاهات نقد العهد القديم على استفادة يوليوس فلهاوزن من التراث الإسلامي في نقد الكتاب المقدس وبخاصة من أعمال ابن حزم، ومما يؤكد ذلك اشتغاله بالدراسات العربية والإسلامية قبل أن يتحول إلى نقد العهد القديم في الغرب [٤٨].

فالتشابه في نتائج نقد الكتاب المقدس بين الرجلين يؤكد قراءة فلهاوزن لابن حزم وتأثره بالنقد المصدري عنده، ولعل نظرية المصدر عند فلهاوزن مأخوذة مباشرة من ابن حزم [٤٩].

و أهم ما يستوقفنا في كتاب الفصل لابن حزم من المواضيع هو موضوع نقد الكتب المقدسة أي العهدين القديم والجديد، وهو الموضوع الذي أسّس به ابن حزم لمنهج جديد في الدارسات الدينية ونقصد به منهج نقد النص وما يحتويه من الأسس والقواعد المنهجية العلمية.

وقال عنه"بلانثيا"، إن كتاب الفصل هو:" أشهر ما ألف ابن حزم في مادة التاريخ وأعظمه قيمة، وأنه تاريخ نقدي[٥٠] للأديان والفرق والمذاهب حافل بما فيه من مادة وأفكار يعرض لشتى مذاهب الذهن البشري في موضوع الدين بدءً من الإلحاد المطلق الذي عليه السوفسطائيون[٥١] ... إلى إيمان العوام الذين يصدقون كل شيء، ويؤمنون بالخرافات في جهل ولا يشكون في شيء[٥٢].

---

٤٦ - د. محمد خليفة حسن، و د. أحمد محمود هويدي ، اتجاهات نقد العهد القديم (النقد اليهودي والمسيحي والإسلامي والغربي ، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، صـ ٤٣-٤٤؛ عبد العزيز عبد الحق حلمي، مقدمة الرد الجميل للإمام الغزالي، صـ ٨٠.

٤٧ - المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن ولد سنة ١٨٤٤م وتوفي سنة ١٩١٨م، تخرج باللغات الشرقية على إيفالد في جوتنجين فعد من أشهر تلاميذه وقد خلفه فيها، من آثاره: تاريخ اليهود، محمد في المدينة، التمهيد للتاريخ الإسلامي، السيادة العربية وغيرها كثير، نجيب العقيقي،المستشرقون، دار المعارف ، مصر ، ط ٤، د.ت، جـ٢ ، صـ ٣٨٦-٣٨٧.

٤٨ - د. محمد خليفة حسن، و د. أحمد محمود هويدي ، اتجاهات نقد العهد القديم، صـ ٤٥.

٤٩ - المرجع السابق، صـ ٦٥.

٥٠ - مصطلح النقد التاريخي أو التاريخ النقدي هي مصطلحات تعبر عن مجموعة المناهج تركز على الطابع التاريخي للكتاب المقدس، والتي يلعب فيها تاريخ الكتاب المقدس دورا أساسيا . ولا يخفي عنّا أنّ الكتب التاريخية والأناجيل وأعمال الرسل تتضمن إشارات إلى الأحداث والأشخاص الهامة في معرفة تاريخ العهدين :

-David R. Law, The Historical Critical Method, BLOOMSBURY, LONDON, P1

٥١ - السفسطائيون: ترجع كلمة السفسطائي في أصلها اليوناني إلى كلمة حكمة المشتقة من المفردة اليونانية Sophiaأو Sophos، و هي تعني معلم الحكمة، فالسفسطائيون إذا هم مجموعة من محترفي مهنة التعليم الذين أخذوا على عاتقهم تعليم الشباب بأجر مالي فنون الجدل و الخطابة، بوصفهما أفضل و أسهل الطرق و أكثرها قدرة على تحقيق النجاح السياسي، و قد تميز السفسطائيون بالثقافة الواسعة لأنهم كانوا من أصول و مدن مختلفة بقيم و أفكار مختلفة نهلوا من مصادر معرفية متعددة أكسبتهم غزارة وتنوع معرفي وبراعة خطابية وبالغية .ومن أهم مفكريهم: أنتيفون، بروتاغوراس، كالكيز، تراسيماخوس..

٥٢ - أنخل جنثالث تبالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د.حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٢٨م، صـ ٢٢١.

والمنهج النقدي كما عرفنا من قبل هو مسلكٌ يتمّ من خلاله النّظر في مصادر وعقائد الأديان وشرائعها لمعرفة مدى صحّتها وتطابقها مع دين الإسلام ومجمل القواعد العلمية العقلية والكونية، ويقوم على أساسين:

الأساس الأوّل النّقد الخارجي:

حيث ينظر في مصادر الدّين ويحّقق في نسبتها. وعن طريق هذا المنهج نظر ابن حزم في التوراة والإنجيل المعتمدة لدى اليهود والمسيحيين، وتطبيقًا له خلص إلى أهمّ ما يمكن أن يوجّه كنقد للرسالات السّماوية السّابقة كالنّصرانية واليهودية خاصّة من خلال دراسة ونقد مصادرها ومن ذلك:

أوّلاً: من خلال المنهج الاستقرائي التحليلي

وذلك بالإشارة إلى تعدّد روايات المصادر وعدم اتفاقها، حيث درس اختلاف الاناجيل وتعددها، وبيناتها لما في نسخ التوراة التي عند اليهود، حيث نبه ابن حزم عند نقده للمصادر التوراة والأناجيل إلى أمرين مهمين، وهما:

١- واضعي هذه المصادر ونَقَلَتها.

فقد ناقش مسألة تعدد الأناجيل بتعدد أصحابها المنسوبة إليهم، كمتي، ومرقص، ولوقا، ويوحنا. وممكن اجمال أقواله في الاتي:

١- أن إنجيل متى ألفه متى اللاواني، وهو تلميذ المسيح، وذلك بعد ٩ سنين من رفع

٢- إنجيل مرقس ألفه مرقس الهاروني، وهو تلميذ شمعون بن يوحنا المسمى باطرة،

وذلك بعد ٢٢ عاما من رفع المسيح.

٣- إنجيل لوقا، وألفه لوقا الطبيب الأنطاكي، وهو تلميذ شمعون باطرة.

٤ - إنجيل يوحنا، وألفه يُوحنا بن سَبَذاي، وهو تلميذ المسيح، وذلك بعد رفع المسيح

ببضع وستين سنة [٥٣]. حيث أشار الإمام ابن حزم إلى أنّ النصارى لا يختلفون في أنّ الإنجيل غير منزّل من عند الله تعالى على المسيح، وإنما هي أربعة تواريخ ألّفها أربعة رجال، و أنّ بعضها كتب أصله بالعبرانية والآخر باليونانية، واختلفوا في نسبة إنجيل مرقص إلى مرقص الهاروني أو إلى أستاذه شمعون تلميذ المسيح عليه السلام المسمّى باطرة الذي كتبه على الرواية الثانية ثم محا اسمه من أوّله، ونسبه إلى تلميذه مرقص[٥٤].

حيث درس ابن حزم ظروف كتابة الاناجيل في نهاية القرن الميلادي الأول وطيلة الثاني، وبين كيف أن هذه الظروف لم تكن تسمح بتدوين العهد الجديد والحفاظ عليه.. قال: "اعلموا أن أمر النصارى أضعف من أمر اليهود بكثير، لأن اليهود كانت لهم مملكة، وجمع عظيم مع موسى عليه السلام وبعده، وكان فيهم أنبياء كثر، ظاهرون آمرون مطاعون، كموسى ويوشع وشموال وداود وسليمان عليهم السلام. وإنما دخلت الداخلة في التوراة بعد سليمان عليه السلام، إذ ظهر فيهم الكفر وعبادة الأوثان وقتل

٥٣ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٢، صـ ١٣- ١٥بتصرف.

٥٤ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق :أحمد السيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ط، د.ت، جـ ١ ، صـ ٢٥١- ٢٥٢.

الأنبياء وحرق التوراة... وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط... وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته، وبعده يدعون إلى دينهم سرا لا يكشف منهم أحد وجهه إلى الدعاء إلى ملته، ولا يظهر دينه، وكل من ظفر به منهم فإنه قتل... وبقوا على هذه الحال لا يظهرون البتة، ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة... وفي خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم... إلى أن تنصر قسطنطين الملك... وكل دين كان هكذا فمحال أن يصح فيه نقل متصل، لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يوجد إلا سرا تحت السيف، لا يقدر أهله على حمايته، ولا على المنع من تبديله..." [٥٥]. وهذه قاعدة مهمة يقررها ابن حزم، أعني أثر الحوادث التاريخية وقوة الأمة أو ضعفها في حفظ ثقافتها وكتبها. ويوضح ابن حزم أمرا آخر، وهو أن الإنجيل كان موكولا إلى جماعة محدودة تحتفظ به وتحتكر نسخة ودراسته، وقد يسلم هذا إذا كانت الجماعة قوية صالحة، ولكن أنى التيقن من ذلك. ولهذا يطلق ابن حزم قاعدة مهمة في مجال تاريخ الأديان: ".. وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلهما، وكانا محظورين على من سواهم، فالتبديل والتحريف مضمون فيهما" [٥٦]. وينبه ابن حزم إلى أمر آخر، وهو أن أصحاب الأناجيل الأربعة ليسوا هم الحواريون الذين اختصوا بالمسيح عليه السلام والذين ذكرهم القرآن، فهؤلاء المؤلفون- متّى ويوحنّا ومرقس ولوقا، وكذلك الأسماء المذكورة في كتبهم: يعقوب ويهوذا وبطرس.. –إما من الغالين الذين اعتقدوا بألوهية المسيح، أو من المدسوسين من قبل اليهود- كما تعترف بذلك بنفسها- لإفساد دين أتباع المسيح وإضلالهم [٥٧].

٢- الاختلاف الموجود بين النسخ وتناقضاتها في كثير من الأحيان.

وذلك عن طريق منهج المقارنة الذي يسبق في هذه الحالة المنهج النقدي، لذلك لاحظ ابن حزم أوجه الاختلاف بين الأناجيل والتوراة التي بين أيدي اليهود التي يقرّ المسيحيون ويجعلونها جزءًا من الكتاب المقدس الذي يدينون به.

حيث قارن ابن حزم بين ما جاء في التوراة من قصة آدم وأبنائه مع ما جاء في أناجيل النصارى فخلص من منهجه المقارن هذا إلى أنّ: " بين الطّائفتين من الاختلاف المذكور زيادة ألف عام وثلاثمائة عام وخمسين عامًا عند النصارى في تاريخ الدّنيا على ما هو عند اليهود في تاريخها، وهي تسعة عشر موضعًا"[٥٨]، ثمّ ختم ناقدًا : " ومثل هذا من التّكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عزّ وجلّ أصلاً، ولا من قول نبيّ ألبتّة، ولا من قول صادق عالم من عرض النّاس، فبطل بهذا بلا شكّ أنّ التوراة وتلك الكُتُب منقولة نقلاً يوجب صحّة العلم، لكن نقلا فاسدًا مدخولاً مضطربًا"[٥٩].

كما قارن ابن حزم بين ما في إنجيل متى من نسب المسيح عليه السلام مع ما في كتب اليهود والتوراة، ثم قارنه مع ما في إنجيل لوقا فخلص إلى أن متى ينسب المسيح إلى يوسف النجار، ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبًا فأبًا، أما لوقا فينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متّى حتى يلحقه بناثان بن داود،

٥٥ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ١٦- ١٧.

٥٦ - المرجع السابق، جـ ١، صـ ١٩٦- ١٩٧.

٥٧ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٨٩- ٩٠.

٥٨ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد السيد أحمد علي، مرجع سابق، جـ ١ ، صـ ٢٥٧.

٥٩ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد السيد أحمد علي ، جـ ١ ، صـ ٢٥٧.

أخي سليمان بن داود، ثم ينتقد ابن حزم هذا النّسب في كلا الإنجيلين بقوله" : "ولا بد – ضرورة - أن يكون أحد النّسبين كذبا فيكذب متّى أو لوقا، ولا بد أن يكون كلا النّسبتين كذبا... ولا يمكن ألبتة أن تكون كلا النّسبتين حقّا "[٦٠]. ثم يطيل ابن حزم النفس كعادته ليرد على ما يمكن أن يكون كاعتراض على ما خلص إليه من نقد، فيورد جواب بعضهم عليه بأنّ إحدى هاتين النسبتين هي نسب الولادة، والأخرى نسبة إلى من تبنّاه، فيرد على ذلك وعلى اعتراضات أخرى وفرغ إلى أنّه: "لا سبيل إلى ما يصحّح هذه الدعوى فهي كذب"[٦١]. كما ذكر ابن حزم قاعدة أخرى في تغير الأديان واستحالة صحة نقل أصول صحيحة من مصادر الدين الأولى إذا كانت الأمة المتدينة تحت رحمة السيف، مقهورة تستتر بدينها وتموه عنه، لكونه لا تستطيع حمايته، ومنع خصومه أو حتي معتقديه من تحريفه أو تبديله، وهذا ما اشار اليه عند كلامه عن الأمة المسيحية الأولى، التي كانت متسترة بدينها تدعو سرا إليه، وأنه من ظفر به منها صلب أو قتل بالسيف أو السم، وبقيت الأمة المسيحية على هذه الحالة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام، وفي خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلا فصولاً يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم، ثم يخلص ابن حزم في الاخير ثم يخلص ابن حزم في " وكل دين كان هكذا فمحال أن يصح نقل متصل، لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يوجد إلا سرا تحت السيف، لا يقدر أهله على حمايته، ولا على المنع من تبديله"[٦٢].

ورد ابن حزم علي على قضية صلب المسيح بقوله: "وممَّا يعْتَرض بِهِ علينا الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَمن ذهب إِلَى إِسْقَاط الكواف، من سَائِر الْمُلْحِدِينَ : إِن قَالَ قَائِلهمْ : قد نقلت الْيَهُود وَالنصَارَى أَن الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام قد صلب وَقتل، وَجَاء الْقُرْآن بِأَنَّهُ لم يقتل وَلم يصلب. فَقولُوا لنا كَيفَ كَانَ هَذَا؟ فَإِن جوزتم على هَذِه الكواف الْعِظَام الْمُخْتَلفَة الْأَهْوَاء والأديان والأزمان، والبلدان والأجناس نقل الْبَاطِل، فَلَ يسَتْ بذلك أولى من كافتكم الَّتِي نقلت أَعْلَام نَبِيكُم وشرائعه وَكتابه. فَإِن قُلْتُمْ : اشْتبهَ عَلَيْهِم فَلم يعْتَمد وانقل الْبَاطِل فقد جوزتم التلبيس على الكواف فَلَعَلَّ كافتكم أَيْضا متلبس عَلَيْهَا فَلَيْسَ سَائِر الكواف أولى بذلك من كافتكم وتولوا لنا كَيفَ فرض الإقرار بصلب الْمَسِيح عنْدكُمْ قبل وُرُود الْخَبَر عَلَيْكُم بِبُطْلَان صلبه وَقَتله. فَإِن قُلْتُمْ كَانَ الْفَرْض على النَّاس الإقرار بصلبه وَجب من قَوْلكُم: الإقرار أَن الله تَعَالَى فرض على النَّاس الإقرار بِالْبَاطِلِ ، وَأَن الله تَعَالَى فرض على النَّاس تَصْدِيق الْبَاطِل والتدين بِهِ ، وَفِي هَذَا مَا فِيهِ . وإِن قُلْتُمْ كَانَ الْفَرْض عَلَيْكُم الْإِنْكَار لصلبه، فقد أوجبتم أَن الله تَعَالَى فرض على النَّاس تَكْذِيب الكواف وَفِي هَذَا إِبطَال قَول كافتكم، بل إِبطَال جَمِيع الشرائع، بل إِبطَال كل خبر كَانَ فِي الْعَالم عَن كل بلد وَملك وَنَبِي وفيلسوف وعالم ووقعتم وَفِي هَذَا مَا فِيهِ" وقال " هَذِه اللازمات كلهَا فَاسِدَة فِي غَايَة الْحِوَالَة والاضمحلال بِحَمْد الله تَعَالَى وَنحن مبينون ذَلِك بالبراهين الضرورية بَيَانا لَا يخفي على من لَهُ أدنى فهم، وقال إِن صلب الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام لم يقلهُ قطّ كَافَّة، وَلَا صَحَّ بالْخبر قطّ لِأَن الكافة الَّتِي يلْزم قبُول نقلهَا هِيَ : إِمَّا الْجَمَاعَة الَّتِي يُوقن أَنَّهَا لم تتواطأ لتنابذ طرقهم وعدم التقائهم، وَامْتِنَاع اتِّفَاق خواطرهم على الْخَبَر الَّذِي نقلوه عَن مُشَاهدَة، أَو رَجَعَ إِلَى مُشَاهدَة وَلَو كَانُوا اثْنَيْنِ فَصَاعِدا"[٦٣].

٦٠ - المرجع السابق، جـ ١ ، صـ ٢٦٢.

٦١ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد السيد أحمد علي ، جـ ١ ، صـ ٢٦٢.

٦٢ - المرجع السابق، جـ ١ ، صـ ٢٥٢-٢٥٣.

٦٣ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ١٢٢- ١٢٣.

تناقض الأناجيل في قصة إحياء المسيح للموتى :

يبين إنجيل متى أن رجلاً جاء إلى المسيح، فقال له: إن ابنتي توفيت، وأنه يريد أن يذهب إليها لتحيا ، ثم انطلق المسيح مع تلاميذه إلى بيته، ورأى أن الناس يبكون على موتها،

ولكن المسيح أكد لهم أن الصبية نائمة ولم تمت، فضحكوا منه، وبعد ذلك أخرج المسيح الجميع من البيت، وأمسك بيد الصبية، وقال لها : قومي ، فقامت الصبية ومشت [٦٤]. ووردت تلك القصة أيضًا في إنجيل لوقا، فقد بينت رواية لوقا أن المسيح قال لها : قومي، فقامت وأمرهم بإطعامها [٦٥]. وفي إنجيل مرقس وردت تلك القصة أيضًا [٦٦] . وتبين روايات إنجيلي مرقس ولوقا أن المسيح أوصى والديها بعدم إشاعة ما حصل.

يرى ابن حزم أن تلك الأناجيل موضوعة ومكذوبة؛ لأنها تنسب الكذب إلى المسيح - عليه السلام؛ لأن قولهم إن المسيح أخبرهم بأن الصبية راقدة ليست ميتة يدل على أنه لم يأتِ بآية أو معجزة تدل على صدقه - وحاشاه أن يكذب، ثم بين ابن حزم أنهم لا يستطيعون أن يقولوا أن الآية تتعلق بإبرائها من الإغماء ؛ لأن نص أناجيلهم يُقر أنه قال لأبيها: "أمن فتحيا ابنتك"، كما أن رواية إنجيل متى تؤكد أن الصبية ماتت، ولكن رواية لوقا تبين أنها كانت مريضة ولم تمت، ولذلك أحد الإنجيليين كاذب بلا شك [٦٧].

ثم انتقد ابن حزم ادعاء الأناجيل أن المسيح طلب من والد الصبية بأن لا يُخبر أحدًا بالأمر ؛ لأن المعجزات والآيات يجب أن تكون في العلن لا في الخفاء ؛ حتى يؤمن الناس، ولأن معجزات الأنبياء - عليهم السلام - هي تأييد من الله عز وجل [٦٨].

تناقض الأناجيل في نسبة السلام والدمار إلى المسيح:

صرحت الأناجيل أن المسيح جاء لأجل السلام والمحبة، وتارة أخرى نفت الأناجيل ذلك، وقالت بل جاء للدمار والهلاك؛ فقد جاء في إنجيل متى: «لا تحسبوا أني جئت لأدخل بين أهل الأرض الصلح إلا السيف، وإنما قدمت لأفرق بين المرء وزوجه وابنه، والابنة وأمها، وبين الكنة وختنتها، وأن يُعادي المرء أهل خاصته» [٦٩].

وفي إنجيل لوقا وردت رواية تبين أن المسيح جاء لإلقاء النار، والانقسام في الأرض:

" إنما قدمت لألقي في الأرض نارًا وإنما إرادتي إشعالها ولنغطس فيها جميعها، وأنا بذلك منتصب إلى تمامه أتظنون أني أتيتُ لأصلح بين أهل الأرض؟ ولكن لأفرق بينهم..» [٧٠].

و أيضا جاء أن المسيح أتى للخلاص وأنه لم يأت للهلاك و لم نبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها [٧١].

---

٦٤ - متي: ٩/ ١٥-١٦.

٦٥ - لوقا: ٨/ ٤١-٥٦.

٦٦ - مرقس: ٥/ ٣٥-٤٣.

٦٧ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ٥٥- ٥٦.

٦٨ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ٥٦.

٦٩ - متي: ١٠/ ٣٤-٣٦.

٧٠ - لوقا: ١٢/ ٤٩-٥١.

٧١ - لوقا: ٩/ ٥٦.

أما في إنجيل يوحنا فقد ورد أن المسيح لم يأت لإدانة من لا يؤمن به، وإنما جاء الخلاص العالم: " من سمع كلامي ولم يحفظه فلست أحكم أنا عليه، فإني لم أت لأحكم على الدنيا، وأعاقبها لكن الأسلم أهل الدنيا [٧٢].

ويبين ابن حزم أن هذا تناقض دال على وجود الكذب في أناجيل النصارى، وخاصة أن التناقض ليس فيما بين الأناجيل الأربعة فقط، لكنه موجود أيضا في الإنجيل الواحد، كما جاء في إنجيل لوقا الذي صرّح بأن المسيح - عليه السلام - جاء للانقسام والدمار في الأرض، وتارة أخرى ينفي ذلك ويبين أنه جاء للخلاص.

ثم علق على ذلك ابن حزم فقال إنهم قالوا : إن المقصود أنه جاء لخلاص الأنفس التي آمنت به، قلنا: إن قولهم خاطئ؛ لأن المسيح على كل نفس مؤمنة به وكافرة به، ولأن إنجيل لوقا يؤكد أن تلاميذ المسيح سألوه إلقاء النار من السماء وإحراق من لم يؤمن به، ولكن المسيح أنكر ذلك عليهم، وبين أنه إنما بعث لسلامة الأنفس، ثم جاء في إنجيل لوقا أن المسيح - عليه السلام - إنما بعث رسولا إلى بني إسرائيل [٧٣].

ثانيًا: من خلال السند اللّغوي حول المفهوم والترجمة:

كما نبه في دراساته اللّغوية لهذه المصادر إلى مشكلة الترجمة من العبرانية إلى اللّغات الأخرى التي ترجم إليها كاليونانية والسريانية وغيرها، وذلك من خلال أخطاء في النقل والترجمة أدت إلى تحريف في المفاهيم، كمفهوم الأبوة والبنوة، وأشار إلى المشكلة اللّغوية في النقل والترجمة، ودورها في الانحراف والتبديل في باب دراسة ونقد المصادر [٧٤].

حيث رد ابن حزم على ما استدل به القائلون من النصارى بأن الباري لما وجب أن يكون حيّا وعالما وجب أن تكون له حياة وعلم، وسموا حياته روح القدس، وعلمه إبنًا .قال ابن حزم: " وقد ادعى بعضهم أنّ هذا تقتضيه اللّغة اللّاتينية"، ثم عقّب رحمه الله تعالى على ذلك بقوله" : وهذا باطلٌ ظاهر الكذب؛ لأن الإنجيل الذي كان في ذكر الأب والابن وروح القدس، لا يختلف أحدٌ من الناس في أنه إنما نقل عن اللّغة العبرانية إلى اللّغة السّريانية وغيرها . فعبّر عن معاني تلك الألفاظ بالعبرانية، وبها كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، وليس في اللّغة العبرانية شيء ممّا ذكر وادّعي"[٧٥].

وكان ابن حزم عند كل رد على أهل الكتاب يؤكد على أنه لا يورد من نصوصهم إلا النصوص التي لا تحتمل تأويلاً ولو بعيداً يمكن صرف ظاهر النص إليه، وكان كلما

---

٧٢ - يوحنا: ١٢/ ٤٧.

٧٣ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ٦٣- ٦٤.

٧٤ - وقد أشار ابن القيم إلى مثل هذا عند كلامه عن البشارات التي وردت في الإنجيل بنبوة محمد ﷺ وصفته، فعن كلمة بارقليط التي تعني في العبرانية الحمد، والتي أوّلها النصارى بالمخلّص أو المعزّي لتوافق مذهبهم في المسيح، وقالوا إنّ أصلها سرياني أو يوناني، اعترض ابن القيم" على هذين القولين بأنّ المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية، وأجيب عن هذا بأنه تكلّم بالعبرانية، والإنجيل إنما نزل باللّغة العبرانية وترجم عليه باللّغة السريانية والرومية واليونانية وغيرها" ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: د. محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م، صـ ٣١٦.

٧٥ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد السيد أحمد علي، جـ ١ ، صـ ٦٩.

أثار مخالفوه اعتراضاً على اعتبار أن ما ذهبوا إليه وجه تحتمله اللغة، نفى ذلك بالتأكيد على أن العبرية التي يزعمون أنها لغة الكتاب الأصلية لا تحتمل ذلك الوجه، مثال ذلك ما أورده عند نفيه أن يكون يوسف النجار هو والد المسيح عليه السلام في قوله: "فإن قالوا: إن زوج الأم يسمى في اللغة أبا قلنا: كيف العمل في هؤلاء الذين اتفقت الأناجيل على أنهم إخوته وأخواته.. وما وجد قط في اللغة العبرانية أن ولد الربيب من غير الأم يسمى أخا" [٧٦]، ويقول في مكان آخر: "وقد ادعى بعضهم أن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم العالم يقال فيه إنه ابنه، .. وهذا باطل ظاهر الكذب لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها فعبر عن تلك الألفاظ العبرانية وبها كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر وادعى" [٧٧]. ويظهر اهتمام ابن حزم باللغة الأصلية للأسفار المقدسة حرصه في بداية ذكره للأناجيل على إعطاء لغة كل إنجيل يقول عن الأناجيل: "فأولها تاريخ ألفه متى اللاواني.. وكتبه بالعبرانية.. والآخر تاريخ ألفه مارقش الهاروني.. وكتبه باليونانية.. والثالث تاريخ ألفه لوقا الطبيب.. كتبه باليونانية.. والرابع تاريخ ألفه يوحنا.. وكتبه باليونانية.. ويوحنا هذا نفسه هو ترجم إنجيل متى صاحبه من العبرانية إلى اليونانية" [٧٨].

ولم يغب عن ابن حزم ما قد تحدثه الترجمة والنساخة من تحريف للنص فكان يشير إلى ذلك متى أحس أن الخطأ قد يكون مرده إلى المترجم أو الناسخ، وينفي في نفس الوقت إرجاع الخطأ إليهما إن ثبت له غير ذلك [٧٩].

ثالثًا :من خلال المنهج المقارن

يمّثل الوجهة القياسية في الدراسات الإسلامية بحيث تشمل الدراسة بيان بعض أوجه الارتباط بين بعض الأديان، أو التنبيه إلى البناء التراكمي لبعضها الآخر، أو إلى تداخل بعضها، كما في حالة الأديان الشرقية التي أثّرت في بعض الرسالات السماوية كالنصرانية واليهودية، أو إلى الاختلاف الحاصل بين مصادر نفس الديانة وتناقضه. وقد أشرت في كلامي عن المنهج النقدي إلى أمثلة من المقارنات التي كان يعقدها ابن حزم بين ما ذكرته الأناجيل وما ذكرته التوراة وكتب اليهود عامة.

الأساس الثّاني :النقد الداخلي

وفيه ينظر إلى مضمون هذه المصادر من عقائد وشعائر ومدى صحتها استنادا إلى المرجعية الإسلامية؛ عقيدة وشريعة. خاصة فيما يتعّلق بوجود الخالق الواحد المدبر، ووجود الملائكة، وإثبات النبوة والرسالة والشرائع الخاصة التي جاءت بها. فقد انتقد ابن حزم ما جاء في التوراة والإنجيل عن ألوهية المسيح بحكم أنها تخالف أصل الإسلام في وحدانية الخالق، كما انتقد اعتقادهم في روح القدس، الذي جعلوه مشاركا لله في الألوهية، وتكّلم في تحريفهم للشرائع التي آمن بها المسيح تبعاً لموسى، كتحليلهم للزنا وأكل الخنزير، وتركهم الختان، وغيرها من العقائد والشرائع التي جاءت مخالفة لأحكام الإسلام فيها. وإذا كان ابن حزم سلك في منهجه النقدي نقد النص الديني من الخارج؛ فإنه

٧٦ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ٨٢.

٧٧ - المرجع السابق، جـ ١، صـ ١١٣.

٧٨ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ١٣-١٤.

٧٩ - المرجع السابق، جـ ١، صـ ٢٠٧-٢٠٨ ، ٢٧٦.

أيضًا اتجه إلى النص نفسه من الداخل بغية تحليله وفهمه، وبيان ما يعتري هذا النص من إشكالات، فقد استعرض ابن حزم الأخطاء التي يكتنفها النص الديني الكتابي، وبيان ما فيه من أخطاء تنتهي إلى أن النص الذي بأيدي أهل الكتاب محرَّف ومبدَّل، ففي كثير منها يتناقض مع الحقائق العقلية، وبعض ذلك يتناقض مع الحقائق التاريخية، وحتى بعضها تكذبه المواقع الجغرافية والعلوم الضرورية؛ إذ يقول: " ها هنا انتهى ما وجدنا من التوراة لليهود التي اتفق عليها الربانيون[٨٠] والعنانيون[٨١] والعيسويون[٨٢] والصدوقيون[٨٣] منهم مع النصارى أيضا بلا خلاف منهم فيها من الكذب الظاهر في الأخبار، وفيما يخبر به عن الله تعالى، ثم عن ملائكته، ثم عن رسله عليهم السلام، من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة إلى الأنبياء عليهم السلام، ولو لم يكن فيها إلا فصل واحد من الفصول التي ذكرنا لكان موجبًا، ولا بد لكونها موضوعة محرفة مبدلة مكذوبة فكيف وهي سبعة وخمسون فصلًا "[٨٤] . ونقد ابن حزم هذا ليس خاليا من البرهان العلمي، بل إن المنهج النقدي الذي سلكه ابن حزم قائم على البرهان القائم على المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس، وأوليات العقل وبديهياته، وهي التي أطلق عليها اسم "البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق "[٨٥]، وفي هذا يقول ابن حزم في مفتتح كتابه: " فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا لله -عز وجل- في جمعه، وقصدنا به إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس – من قرب أو من بعد- على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلا مخرجها إلى ما أخرجت له، وألا يصح منه إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط؛ إذ ليس الحق إلا ذلك "[٨٦] .

كذلك فإن ابن حزم التزم أيضا الوضوح في النقد والاعتراض واقامة البراهين الواضحة، والبعد عن الدعاوى المجردة التي لا يسندها الدليل والبرهان؛ لأن هذا ليس من

---

٨٠ - الربانيون: سموا بالربانيين ، لأنهم يؤمنون إلى جانب التوراة بأسفار التلمود ، التي ألَّفها الربانيون أحبارهم ، وقد ورد اسم الربانيين والأحبار في قوله تعالى: " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء "(سورة المائدة : الآية ٤٤)، انظر : د. محمد إبراهيم الجيوشي ، دراسات عن اليهودية ، د. ط، د.ت ، صـ ٣١ .

٨١- العنانيون: هي واحدة من الفرق التي أثرت في الفكر اليهودي والتي تأسست بزعامة عنان بن داود(٧١٥-٨١١) في العراق. وتقوم هذه الفرقة على رفض التلمود والمشناه والجمار وجعلت المرجع الأول والأخير لها هو العهد القديم أي الشريعة المدونة والمسماة بالمقرا فأصبح اتباعها يسمون بالقرائين، للمزيد انظر: د. يوسف عيد، موسوعة الأديان السماوية والوضعية " اليهودية"، دار: الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، صـ ٨١- ٨٢؛ د. محمد حمزة بن علي الكتاني، مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي – اليهودي، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م ، صـ ١٠٥-١٠٩.

٨٢ -العيسويون: هي فرقة يهودية نُسبة إلى عيسى اسحق بن يعقوب الأصفهاني، وذُكر أنَّ اسمه " عوفيد الوهيم "، أي عابد الله، كان زمن المنصور وابتدأ دعوته زمن مروان بن محمد، فاتبعه كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات وزعموا أنَّه لما حُورِبَ خطَّ على أصحابه خطاً بعود آس، وقال: أقيموا في هذا الخط، فليس ينالكم عدو، فكان العدو إذا بلغوا الخط رجعوا خوفا من طلسم أو عزيمة، ومع هذا فقد قضى المنصور عليه وعلى أصحابه.

٨٣ - الصدوقيون: مأخوذة من الكلمة العبرية (صدوقيم) وأصل الكلمة غير محدد و(الصدوقيون) فرقة دينية وحزب سياسي تعود أصوله إلى قرون عدة سابقة على ظهور المسيح عليه السلام وهم أعضاء القيادة الكهنوتية المرتبطة بالهيكل وشعائره والمدافعون عن الحلولية اليهودية الوثنية، د.عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، م ٥،جـ٣، صـ ٣٢٣.

٨٤ - الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابن حزم ، مكتبة الخانجي ، جـ١، صـ ١٤١.

٨٥ - تقوم البراهين عند ابن حزم على مجموعة من البديهيات وهي :
١- الجزء أقل من الكل ٢- لا يجتمع المتضادان. ٣- لا يكون الجسم الواحد في مكانين ولا يكون الجسمان في مكان واحد.
٤- لا يكون شيء إلا في الزمان. ٥- للأشياء طبائع وماهيات لا تتجاوزها ٦- لا يكون فعل إلا من فاعل. ٧- لا احد يعلم الغيب إلا عن طريق الخبر الصادق . ٨- الخبر إما صادق أو كاذب أو متوقف فيه.

٨٦ - ابن حزم (٤٦٥هـ) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت ، جـ١، صـ ٩.

المنهج النقدي العلمي؛ فيقول في هذا: "وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئًا يمكن أن يخرج على وجه ما، وان دق وبعد؛ فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له، وكذلك أيضًا لم نخرج منه كلامًا لا يفهم، وإن كان ذلك موجودا فيها؛ لأن للقائل أن يقول قد أصاب الله ما أراد، وانما أخرجنا ما لا حيلة فيه، ولا وجه أصلًا إلا الدعاوى الكاذبة التي لا دليل عليها أصلًا لا محتملًا ولا خفيًّا "[٨٧] .

حيث درس ابن حزم التوراة دراسة منهجية نقدية, وذلك بربط الكلام بعضه ببعض, وقراءته من الداخل بعيدا عن الظروف الخارجية ، فظهرت له أوجه من التناقضات والاختلافات؛ التي لا يمكن إزالة التناقض عنها؛ أو إزالة الاختلاف منها مما يؤكد أنها لم تكن وحيا لنبي، وهناك أمر آخر وهو كلام التوراة عن الله تعالى ووصفه بأوصاف بشرية ونسبة الكذب له- حاشاه- وهذا دليل آخر على التحريف والتبديل ، ويضاف إلى ذلك اتهام الأنبياء والأصفياء بالفواحش والقبائح ورذائل الأخلاق التي تطعن في أصل عصمتهم مما يزيد الأمر وضوحا وبيانا بأن مؤلفها جاهل ومستخف بالله ورسله , فنصوص التوراة شاهدة على التحريف والتبديل , ونص واحد كاف لإثبات ذلك, فكيف بهذا الكم الهائل من النصوص التي تشهد بنفسها على أنَّ يدا بشرية تلاعبت بها. وقد ساق ابن حزم من الأدلة ما لا يمكن لمنصف أن ينكر واحدا منها, فكيف بمجموعها ، ولن أفصِّل القول في كل ما قاله في النقد الداخلي للتوراة ، وإنما أذكر اثنين من هذه الوجوه:

أولا: **نسبة الكذب إلى الله تعالى-حاشاه-:**

وقد أفاض ابن حزم بذكر الأدلة من التوراة ومنها:

- أنَّ الله تعالى يقول: " كل من قتل قابيل يقاد به إلى سبعة " , قال ابن حزم: ولا تناكر بين جميعهم في أن لامك بن متو شائيل بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قابين هو الذي قتل قابين جدَّ جد أبيه, وأنه لم يقد به, " فنسبوا إلى الله تعالى الكذب, لأنه وعده أن يقيد به إلى السبعة ولم يُقد به"[٨٨].

- أنَّ الله تعالى قال لإبراهيم:" لنسلكَ أعطي هذا البلد, من نهر مصر, النهر الكبير إلى نهر الفرات ", ويعلق على ذلك ابن حزم: "وهذا كذب وشهرة من الشهر؛ لأنه إن كان عنى بني إسرائيل- وهكذا يزعمون- فما ملكوا قط من نهر مصر , ولا على نحو عشرة أيام منه شبرا فما فوقه " [٨٩].

- إنَّ الله تعالى قال لإبراهيم : " اعلم علما أنه سيكون نسلك غريبا في بلد ليس له, ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سنة .... والجيل الرابع يرجعون إلى هاهنا ". فيرد ابن حزم على ذلك وينقده بقوله : " في هذا الفصل على قلَّته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان إلى الله تعالى وحاشا لله من الكذب والخطأ" , ويوضح وجه الكذب في ذلك : أ نه لم يرجع من الجيل الرابع أحد إلى الشام , وأن فترة التعذيب فيها كذب فاحش[٩٠].

ثانيا: اتهام الأنبياء بالفواحش وما يستحيل في حقهم:

فكتابهم مليء بالقبائح المنسوبة للأنبياء ، وكلما طالعنا قصة نبي من الأنبياء نجد أنه يرتكب الكبائر ويقترف الفواحش ويوصف برذائل الأخلاق ، من زنى وكذب وغش

٨٧ - المرجع السابق ، جـ١، صـ ٩٤.
٨٨ - ابن حزم (٤٦٥هـ) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل، مكتبة الخانجي ، جـ ١، صـ ١٢١.
٨٩ - المرجع السابق، جـ١، صـ ١٢٨.
٩٠ - المرجع السابق، جـ١، صـ ١٩٩.

وخمر وغير ذلك مما يتنزه عنه كرام الخلق ، ولا يخطر ببال القارئ وهو يقرأ هذا الكلام – إن لم ينبه- أنه يقرأ سيرة نبي وفي الكتاب المقدس؛ بل يخيل إليه أنه يقرأ في التراث الشعبي سيرة رجل ماجن يعاقر الخمر ويفعل الفواحش كما هو شأن أهل الفسق والمجون ، بل الأعجب من ذلك أن هناك من يدافع عن تلك القبائح ويحسِّنها لاعتبارات عقلية أو تاريخية، وهو نوع من المكابرة[٩١]؛ لذلك يشتد ابن حزم في نقده وتظهر حدته في وصف مؤلف التوراة بأشدِّ الأوصاف ومع ذلك لا يبلغ في وصفه وصفَهم للأنبياء والأصفياء ، فيقول: " صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذي يسمونه الحماش ، ويدَّعون أنه توراة موسى عليه السلام إنَّما كان زنديقا مستخفا بالباري تعالى ورسله وكتبه وحاشا لموسى عليه السلام " [٩٢].

وعند دراسة ابن حزم للأديان – من خلال الكتاب المقدس مع استحضاره الدليل والبرهان- سلك مسلكا فريدا في النقد، وهو النقد المعتمد على نقد النص الديني، سواء من خارج النص نفسه، أو داخل النص، ففي نقد النص الديني من الخارج تتبع ابن حزم نص التوراة من الخارج وكيف كانت ترجُمَات النص الديني اليهودي عبر التاريخ من موسى (عليه السلام) إلى أن استقر بأيدي اليهود، وما الظروف التي مرت على حفظ التوراة، وكيف نُقِلت عبر الأجيال، وهذا المسلك الذي سلكه ابن حزم هو نقد للسند؛ أي للنص من خارج النص نفسه؛ إذ يقول في مفتتح نقده لذلك: "ونحن نصف إن شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى (عليه السلام)، إلى انقراض دولتهم، إلى رجوعهم إلى بيت المقدس، إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم، دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك، وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه، ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة وبالله تعالى نستعين "[٩٣].

وقد قسم ابن حزم تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى إلى فترات: فترة يشوع والقضاة، فترة مملكة داود وسليمان، وفترة انقسام المملكة إلى مملكة الشمال ومملكة الجنوب، وتتبع حال التوراة في كل هذه الفترات، وركز فيها على إبراز انتشار الكفر في صفوف بني إسرائيل وكثرة ردة مدبريهم وملوكهم منذ موت موسى عليه السلام إلى عهد أول ملك لهم وذلك في قوله: "فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام..، فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال" [٩٤].

وبعد نفي ابن حزم الإيمان عن جميع ملوك مملكة الشمال، بين انتشار الكفر بين صفوف الكهنة الهارونيين أنفسهم أمثال "ابني الكوهن عالى الهاروني وغيرهما ممن يقرؤون في كتبهم أنهم خدموا الأوثان وبيوتها من بني هارون وبني لاوي"[٩٥].

---

٩١ - يقول ابن كمونة: " إنَّا لا نسلم أن قصة آدم ولوط ويهوذا ممتنعة الوقوع عند العقل، لا سيما في ذلك الزمان، فإن المشهورات تختلف بحسب الأزمنة وما يستبعد وقوع مثله في زمان لا يستبعد في آخر وما ادعي فيه من الحكايات أنه لا فائدة في ذكره فغير مسلم أنه عديم الفائدة في زمن نزول التوراة أو قبله وبعده" ، سعد بن منصور بن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ،تحقيق: د.عبد العظيم المطعني ، دار: الأنصار، مصر، د. ط، د.ت، صـ ٣٥ .

٩٢ - ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل، مكتبة الخانجي ،جـ١، صـ ١٥٥.

٩٣ - المرجع السابق ، جـ١، صـ ١٤١.

٩٤ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ١، صـ ٢٩٠.

٩٥ - المرجع السابق، جـ ١، صـ ٣٠٠-٣٠١.

تعرض ابن حزم لنقد الأناجيل إلى ثلاث امور:

١- تناقض الأناجيل فيما بينها: من المعلوم أن هذه الكتب الأربعة نوع من التأريخ لحياة المسيح، لكنها لا تتفق في كثير من تفاصيل هذه السيرة، وأمثلة ذلك كثيرة. مما أورده ابن حزم قصة التقاء بطرس وأندراوس بعيسى عليه السلام، فقد ذكر الروايات الأربعة جميعا، ثم بين تناقضاتها واختلافاتها، بحيث إن بعض هذه الروايات على خطأ بيقين، بل لا يوجد مانع من احتمال خطئها كلها [٩٦].

ومن الامثلة ايضا التناقض بين إنجيل متى ولوقا ومرقص في وفاة ابنة يسوع:

حيث جاء في الْبَاب التاسع إنجيل مَتى: "وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهذَا، إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: «إِنَّ ابْنَتِي الآنَ مَاتَتْ، لكِنْ تَعَالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فَتَحْيَا». فَقَامَ يَسُوعُ وَتَبِعَهُ هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ. وَإِذَا امْرَأَةٌ نَازِفَةُ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَدْ جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَمَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ، لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ». فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَأَبْصَرَهَا، فَقَالَ: «ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ». فَشُفِيَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ. وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ الرَّئِيسِ، وَنَظَرَ الْمُزَمِّرِينَ وَالْجَمْعَ يَضِجُّونَ، قَالَ لَهُمْ: «تَنَحَّوْا، فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكُوا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الْجَمْعُ دَخَلَ وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا، فَقَامَتِ الصَّبِيَّةُ. فَخَرَجَ ذلِكَ الْخَبَرُ إِلَى تِلْكَ الأَرْضِ كُلِّهَا." إنجيل مَتى"٩/١٨-٢٦ "

ثمَّ ذكر أَنه لما دخل بَيت الْقَائد وأبْصر بالنوائح والبواكي قَالَ لَهُنَّ : اسكتن فَإِن الْجَارِيَة لم تمت وَلكنهَا ا رقدَة فاسته أزت الْجَمَاعَة بِهِ، وَلما خرجت الْجَمَاعَة عَنْهَا دخل عَلَيْهَا وَأخذ بِيَدِهَا ثمَّ أَقَامَهَا حَيَّة. وَذكر هَذِه الْقصَّة نَفسهَا فِي انجيل لوقا الْبَاب الثامن : "وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، جَاءَ وَاحِدٌ مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلًا لَهُ: قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ. لاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ. فَسَمِعَ يَسُوعُ، وَأَجَابَهُ قَائِلًا: لاَ تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى" لوقا ٨/ ٤٩-٥٠" إِلَّا أَنه قَالَ فِيهَا: إِن أَبَاهَا قَالَ لَهُ قد أشرفت على الْمَوْت وَأَنه نَهَضَ مَعَه فَلَقِيَهُ رَسُول يُخبرهُ بِأَن الْجَارِيَة قد مَاتَت، فَلَا تتعبه وَأَن الْمَسِيح قَالَ لأَبِيهَا: لَا تخف وآمن فتحيا. فَلَمَّا بلغا الْبَيْت لم يدْخل مَعَ نَفسه فِي الْ بَيْت إِلَّا باطرة ويوحنا وَيَعْقُوب وَأَبُو الْجَارِيَة، وَكَانَت الْجَمَاعَة تبْكي وتلتدم فَقَالَ لَهُم لَا تبكوا فَإِنَّهَا ا رقدَة وَلَيْسَت ميتَة فاستهزؤا بِهِ معرفَة، بموتها فَأخذ بِيَدِهَا ودعاها وَقَالَ يَا جَارِيَة قومِي فَعَادَت إِلَيْهَا روحها، وَقَامَت من وَقتهَا وَأمر أَن تطعم طَعَاما وَجَاء أبواها وَأمرهمَا أَن لَا يعلمَا أحدا بِمَا فعل وَذكر مثل هَذَا فِي الْبَاب الْخَامِس من إنجيل مرقص[٩٧].

يقول ابن حزم كَانَ يَكْفِي فِي أَنه إنجيل مَوْضُوع مَكْذُوب لعدة أسباب:

الأولى: "حكايتهم عَن الْمَسِيح أَنه كذب جهارًا إِذْ قَالَ لَهُم لم تمت إِنَّمَا هِيَ حَيَّة اَرقِدَة لَيست ميتَة فَإِن كَانَ صَادِقا فِي أَنَّهَا لَيست ميتَة، فَلم يَأْت بِآيَة وَلَا بعجيبة وحاشى لله أَن يكذب نَبِي فَكيف إِلَه..؟!وَلَيْسَ لَهُم أَن يَقُولُوا: أَن الْآيَة هِيَ إبرا ؤها من الْإِغْمَاء، لِأَن فِي نَص إنجيلهم أَنه قَالَ لأَبِيهَا: آمن فتحيا ابْنَتك، فَلَا بُد من الْكَذِب فِي أحد الْقَوْلَيْنِ"[٩٨].

وَالثَّانِية: "أَن مَتى ذكر أَن أَبَاهَا جَاءَ إِلَى الْمَسِيح وَهِي قد مَاتَت وَأخْبرهُ بموتها وَدعَاهُ ليحيها، ولوقا يَقُول: إِن اباها أَتَى إِلَى الْمَسِيح وَهِي مَرِيضَة لم تمت وأتى بِهِ ليبرئها بعد، وَأَن الرَّسُول لقِيه فِي الطَّرِيق وَقَالَ لَه : لَا تتعبه فقد مَاتَت، فأحد النذلين كَاذِب بِلَا شكّ ، فعلَيْهِمَا لعائن الله وَسخطه فَلَا يجوز أَخذ الدّين عَن كَذَّاب"[٩٩].

---

٩٦ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٤١ فما بعدها.

٩٧ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٥٥.

٩٨ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة ، جـ ٢، صـ ٥٦.

٩٩ - المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

وَالثَّالِثَة: "انْفِراد الْمَسِيح عَن النَّاس عِنْد مَجِيئه بِهَذِهِ الْآيَة حاشى، أَبَوَيْهَا وَثَلَاثَة من أَصْحَابه، ثمَّ استكتامه إيَّاهُم ذَلِك، والآيات لَا تطلب لَهَا الخلوات لَا تستر عن النَّاس، وَفِي الأناجيل من هَذَا كثير، من أَنه لم يقدر فِي بعض الْأَوْقَات على آيَة مرّة بِحَضْرَة بلاطس، وَمرَّة بِحَضْرَة الْيَهُود، وَأَنه قَالَ لمن طلب مِنْهُ آيَة: إِنَّكُم لَا ترَوْنَ آيَة إِلَّا آيَة يُونُس عليه السلام، إِذْ بَقِي فِي بطن الْحُوت ثَلَاثًا، وَمَا كَانَ هَكَذَا فَإِنَّمَا هِيَ أَخْبَار مسترابة وكذبات مفتعلة وَنقل عَمَّن لَا خير فِيهِ"[١٠٠].

وبين أن الأناجيل أيضا تضارب كبير في قصة قيام المسيح بعد الصلب، علق عليها ابن حزم بقوله: "ومثل هذا الاختلاف في قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه، ولا يمكن أن يقع من معصومين، فصح أنهم كذابون لا يتحرّون الصدق فيما حدثوه وما كتبوه في هذه القصة" [١٠١]. وهذا يدل على أن الأناجيل ليست هي المنزلة على المسيح، بل هي لأربعة مؤلفين، وهي متغايرة، وألفت بعد رفع المسيح بدهر طويل. وقد لاحظ ابن حزم أن مقدمة لوقا لإنجيله تكشف بوضوح أنه كتب هذا الإنجيل لصديق له طلب منه ذلك [١٠٢].

٢- تناقض الإنجيل الواحد: وأورد ابن حزم لهذا أمثلة، وكثير منها من إنجيل يوحنا، لأنه "أعظم الأناجيل كفرا وأشدها تناقضا، وأتمها رعونة. فأول كلمة فيه: (في البدء كانت الكلمة، والكلمة كانت عند الله، والله كان الكلمة، بها خلقت الأشياء، ومن دونها لم يخلق شيء، فالذي خلق هو حياة فيها)" [١٠٣]. ومن التناقضات أن الأناجيل مرة تعتبر مهمة المسيح استمرارا للتوراة وشريعة موسى عليهما السلام، ومرة تعتبرها مغيرة لهما وناسخة لأحكامهما [١٠٤]. والمقصود أن أخطاء الأناجيل واختلافاتها كثيرة لا يمكن الإحاطة بها هنا. وابن حزم رغم توسعه في كشفها اضطر آخرا إلى ترك ذلك، وقال: "فهذه سبعون فصلا في أناجيلهم من كذب بحت، ومناقضة لا حيلة فيها. ومنها فصول يجمع الفصل منها ثلاث كذبات فأقل أو أكثر، على قلة مقدار أناجيلهم" [١٠٥].ولم يكتف ابن حزم بدراسة الكتب الأربعة، فانتقل إلى الرسائل والأسفار، وهي في العهد الجديد، فبين أخطاءها وتناقضاتها [١٠٦].

ومثال علي تناقض النص في الإنجيل الواحد:

شهادة المسيح: "أشار ابن حزم إلى أن الإنجيل الواحد قد تتناقض نصوص إصحاحاته مع بعضها بعض مثل ما جاء في أحد إصحاحات إنجيل يوحنا أن المسيح قال إن شهادته عن نفسه حقاً، في إصحاح آخر من نفس إنجيل يوحنا جاء على لسان المسيح أن شهادته عن نفسه ليست حقاً والنصان هما: "وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ"(إنجيل يوحنا ٨: ١٤). وفى موضع آخر: "إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا"(إنجيل يوحنا ٥: ٣١). وعلق ابن حزم على هذه

١٠٠ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٥٥ - ٥٦.

١٠١ - أنظر القصة في الأناجيل الأربعة، وكيف كشف ابن حزم تناقضاتها في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ١٢٧؛ وكلام ابن حزم المذكور من نفس المرجع، صـ ١٣٢ .

١٠٢ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ١٣٩- ١٤٣.

١٠٣ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ١٦١.

١٠٤ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٤٥ فما بعدها.

١٠٥ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٢٠٠.

١٠٦ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٢٠١ فما بعدها.

الاختلافات بأن جماعة من أتباع المسيح عليه السلام حين سمعوا منه هذه الأقوال المختلطة، والمتضاربة فارقوه.
"قالَ أَبُو مُحَمَّد: فَهَل فِي الْعُبُودِيَّة والتذلل بِالْحَقِّ لله تَعَالَى أَكثر من هَذَا؟ وَكَيف يجْتَمع هَذ الْكَلَام مَعَ الَّذِي قبله بأسطار من أنه مسَاوٍ لله، وَأَن الله لَا يحكم بعد على أحد، لَكِن يبرأ بالحكم كُله إِلَى وَلَده، أما فِي هَذِه المناقضات السخيفة عِبْرَة لمن اعْتبر؟! ثمَّ عجب آخر قَوْله هَاهُنَا (إِن كنت أشهد لنَفْسِي فشهادتي غير مَقْبُولَة) ثمَّ قَالَ فِي آخر الْبَاب السَّابِع من إنجيل يوحنا: إِن كنت أشهد لنَفْسِي فشهادتي حق فاعجبوا لهَذَا الِاخْتِلَاط وَهَكَذَا ذكر فِي الْبَاب السَّادِس من إنجيل يوحنا أَن جمَاعَة من تلاميذه لما سمعُوا هَذِه الْأَقْوَال المختلطة ارْتَدُّوا وفارقوه"[١٠٧].

٣- الأخطاء المعرفية: يثير ابن حزم وجود عدد مهم من الأخطاء العلمية في العهد الجديد، وذلك في ميادين مختلفة من التاريخ والجغرافيا وطبائع العمران والحساب، حتى من علم الفلاحة، ففي إنجيل متى أن نبات الخردل ينمو ويعلو جميع البقول، حتى ينزل في أغصانها الطير، وعلق على هذا ابن حزم بقوله: "حاشا للمسيح أن يقول هذا الكلام، لكن النذل الذي قاله كان قليل البصارة بالفلاحة، وقد رأينا نبات الخردل، ورأينا من رآه في البلاد البعيدة، فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شيئا منه يمكن أن يقف عليه طائر. ومثل هذه المسامحات لا تقع لنبي أصلا فكيف لله عز وجل" [١٠٨].

لذلك نجد أن ابن حزم في منهجيته النقدية هذه يعد أول عالم يمارس نقد الكتاب المقدس باستخدام منهجية نقد النص من داخل النص ومن خارجه بتوسع واستفاضة، وهو من هذه الزاوية رائد في مدرسة نقد النصوص الدينية؛ إذ سبق كثيرا من فلاسفة الغرب في نقد الكتاب المقدس، وكثير من أعلام الفكر الغربي كإسبينوزا[١٠٩] تأثروا بنقد ابن حزم في منهجية نقد النص المقدس، واستمدوا الكثير من منهجه سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

ويعتبر كتاب ابن حزم في الفصل في الملل والنحل خطوة مهمة في تاريخ الجهود الإسلامية في مجال الدراسات الدينية النقدية، حتي إنّ كثيرا من الباحثين يعتبرون ابن حزم مؤسس علم نقد الكتاب المقدس، وقد استعمل من خلال هذا الكتاب منهج النقد النصي والنقد التاريخي[١١٠]. حيث قالت حواء لزاروس يافه (Hawa lazarus yafeh): " لا شك أن النقد الذي خص به ابن حزم متن الكتاب المقدس يعد دراسة متكاملة لا مثيل لها في الكتب الاسلامية في القرون الوسط"[١١١].

١٠٧ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ١٠٨.
١٠٨ - المرجع السابق، جـ ٢، صـ ٧٩.
١٠٩ - اسبينوزا: هو أحد الفلاسفة المعاصرين وكانت له نظريات نقدية فى الدين اليهودي هيجت عليه اليهود ويعتبر من رواد نقد العهد القديم ورفض الإيمان بالمعجزات لأنه يتنافى مع قانون الطبيعة، انظر: د. عبد الوهاب المسيري محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار: الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م ، م٣، صـ صـ ٣٨٠-٣٨١.
١١٠ - د. شريف حامد سالم، نقد العهد القديم دراسة تطبيقية على سفر صموئيل الأول والثاني ، مكتبة مدبولي، القاهر، ط١، ٢٠١١م، صـ ١٢٣بتصرف.
111 - Hawa lazarus yafeh, intertwined worlds, medieval Islam and bible criticism, p135

الخاتمة

توصل الباحث في ختام البحث إلى عدد من النقاط؛ أهمها:

١- تظهر إسهامات ابن حزم في نقد الكتاب المقدس من خلال اهتمام الدراسات اللاهوتية الغربية بالمادة العلمية التي قدمها في عرضهم لأبحاثهم، ومن خلال تأثر العديد من الفلاسفة واللاهوتيين الغربيين ومنهم سبينوزا بشكل خاص.

٢- يمثل منهج ابن حزم في " نقد النصوص" خطوة مهمة في مجال تحليل المضمون، مع عدم إغفال علاقته بالكاتب، وظروف العصر التي كتب فيه.

٣- المنهج النقدي: هو مسلكٌ يتمّ من خلاله النّظر في مصادر وعقائد الأديان وشرائعها لمعرفة مدى صحّتها وتطابقها مع دين الإسلام ومجمل القواعد العلمية العقلية والكونية.

٤- نتيجة لتطبيق المنهج النقدي للنصوص القديمة تطبيقا علميا صحيحا لدي ابن حزم؛ فقد ظلت النتائج التي توصل إليها، في مجال نقد الكتاب المقدس صحيحة حتى عصرنا الحاضر.

٥- أنَّ ابن حزم كان سباقا في مجال نقد الكتاب المقدس ، ولم يكن سبقه أنه أول من درس التوراة والانجيل فهناك من تقدمه في ذلك؛ بل من خلال المنهج المتميز والدراسة الجادة والنتائج التي خلص إليها بيقين.

٦- أوضحت الدراسة منهج النقد النصي وكيفية تطبيقه على أسفار التوراة والانجيل ، من حيث : تحديد النص الأساسي في عملية النقد ، وفحص النص الأساسي الذي وقع عليه الاختيار، ثم مرحلة الحكم على أي من النصوص و الشواهد النصية يمثل النص الأقرب إلى النص الأصلي.

المصادر والمراجع

- المراجع العربية:

١- ابن حزم (٤٦٥هـ)، الفصل في الملل والاهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د .ت.

٢- ـــــــــــــ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد السيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ط، د.ت.

٣- ـــــــــــــ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ، ط٢،١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤- ـــــــــــــ، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربيـة للدراسـات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٥- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار: العودة، تركية، مصر، ط٢، ١٩٧٢.

٦- ـــــــــــــــــــ، المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

٧- ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: د. محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م، صـ ٣١٦.

٨- ابن منظور، لسان العرب، دار: صادر، بيروت، د. ط، د.ت

٩- ـــــــــــ، لسان العرب، دار: الجيل، بيروت، لبنان، د. ط ،١٩٨٨م.

١٠- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابـن خلكـان (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار: الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت.

١١- أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، شـذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت ..

١٢- أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار: الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٣- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

١٤- أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ابن حزم خلال ألف عام، دار: الغـرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٥- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتـوح الحميـدي (ت ٤٨٨ هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

١٦- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكـر القـضاعي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مكتبـة الخانجي، مصر، ١٣٧٥هـ.

١٧- أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري(٣٩٣هـ)، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم: عبد الله العلايلي، تحقيق: نديم مرعشلي ، اسامة مرعشلي ، دار: الحضارة العربية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٤م.

١٨- إحسان الأمين، منهج النقد في التفسير، دار: الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ ،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

١٩- أحمد بن محمد التلمساني المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار: صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٠- أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مطبعة روخس، مدريد، إسبانيا، ١٨٨٤م .

٢١- أنخل جنثالث تبالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٢٨م.

٢٢- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس ، ط٢ ، ٢٠٠١م.

٢٣- ثامر فاضل، اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)،المركز الثقافي العربي، بيروت،المغرب،ط١، ١٩٩٤.

٢٤- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٧٣ م.

٢٥- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦ م.

٢٦- د. توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس(نشأتها، أعلامها، أصولها) ، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض . ط١، ١٤٢٧هـ

٢٧- د. حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم نموذج من نقد توراة اليهود، بحث فى حولية كلية الشريعة والدارسات الاسلامية، جامعة قطر، العدد: ٦، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢٨- د. شريف حامد سالم، نقد العهد القديم دراسة تطبيقية على سفر صموئيل الأول والثاني ، مكتبة مدبولي، القاهر، ط١، ٢٠١١م.

٢٩- د. عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣،٢٠٠٠م.

٣٠- د. عبد الوهاب المسيري محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار: الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٣١- د. عبدالحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

٣٢- د. عبدالمجيد سرحان الدمرداش، المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ٥، ١٤٠٥ هـ.

٣٣- د. علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، مكتبة اللغة العربية، بغداد، ط٣، ١٩٧٤م.

٣٤- د. محمد إبراهيم الجيوشي ، دراسات عن اليهودية ، د. ط، د.ت.

٣٥- د. محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.

٣٦- د. محمد حمزة بن علي الكتاني، مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي – اليهودي، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.

٣٧- د. محمد خليفة حسن، و د. أحمد محمود هويدي ، اتجاهات نقد العهد القديم (النقد اليهودي والمسيحي والإسلامي والغربي ، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٣٨- د. محمد عبد الله الشرقاوي، مقارنة الأديان، مكتبة الزهراء، مصر، ط٢، ١٩٩٠م.
٣٩- ـــــــــــــــــــــ، منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، د .ت.
٤٠- د. محمد محمد قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٩، صـ٥٢.
٤١- د. محمود إسماعيل، الفكر التاريخي في المغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ٢٠٠٩م، .
٤٢- د. يوسف عيد، موسوعة الأديان السماوية والوضعية " اليهودية"، دار: الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٤٣- د.عبد الكريم بكار، تكوين المفكر، دار: وجود للنشر والتوزيع ،الرياض، ط٣ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٤٤- د.هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار: الرشيد للنشر ، العراق، ١٩٨١.
٤٥- سعد بن منصور بن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، تحقيق: د. عبد العظيم المطعني ، دار: الأنصار، مصر، د. ط، د.ت.
٤٦- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار: الفكر العربي، بيروت، مصورة عن طبعة المعلمي اليماني بالهند، د.ت.
٤٧- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣،١٩٧٧م.
٤٨- عبد العزيز عبد الحق حلمي، مقدمة الرد الجميل للإمام الغزالي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٤٩- محمد البدوي، المنهجية في البحوث و الدراسات الأدبية ، دار: المعارف للطباعة والنشر، سوسة ، تونس، ١٩٧١م.
٥٠- محمد صالح سليمان، الصناعة النقدية في تفسير ابن عطية، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط١ ،١٤٣٧هـ -٢٠١٦م.
٥١- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف ، مصر ، ط ٤، د.ت.
٥٢- يوسف السعيد، مناهج البحث في العقيدة، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، القاهرة، العدد ٧ ،م١، ٢٠٠٢م .

– المراجع الأجنبية:

1- David R. Law, The Historical Critical Method, BLOOMSBURY, LONDON, T Clark International, 2012.
2- ENCYCLOPEDIA BRITANNICA ; William Benton ; A cociety of Gentlemen in Scotland ;CHICAGO; LONDON; TORONTO; GENEVA; SYDNEY;TOKYO; MANILA 1768.
3- Hawa lazarus yafeh, intertwined worlds, medieval Islam and bible criticism, No date.